

وحسبة النعيم والجحيم وعذاب القبر ، والمجاز فى القرآن ، وقدم الكلام الإلهى وحدوثه وغير ذلك ؛ يقول المجنون : " إن الخيرة لله لا لعبده . والأمور بيد الله لا بيده ... فليخزكم أن القرآن بغيضكم وأن الحديث يغيظكم . إذا سمعتم من يضل الله فلا هادى له ألدتم . وإذا سمعتم عرضت على الجنة حتى هممت أن أقطف ثمارها . وعرضت على النار حتى اتقيت حرها بيدي . أنغضتم رؤوسكم ولويتم أعناقكم . وإن قيل عذاب القبر تطيرتم وإن ذكر الميزان قلتتم : من الفرغ كفتاه . وإن ذكر الكتاب قلتتم : من القدر دفتاه ... " (٩٥)

يبدو المتحدث منتصرا لمقولات الأشاعرة أو ربما الجبرية ، ويبدو من رد فعل أبى داود المتكلم أنه قد بهت فلم يجر جوابا . والسؤال الآن أين موقف المؤلف الضمنى من الطرفين ؟!

على المستوى الظاهرى يمكن حسابه على موقف المجنون ؛ حيث أفردت لحدثه المقامة ، ولم يتح للمعتزلى أن يمارس الخطاب النقيض دفاعا عن نفسه ومذهبه . لكن هذا التصور ما يلبث أن يهتز بشدة إذا نحن وصلنا لنهاية المقامة ؛ إذ سنكتشف أن المجنون هو أبو الفتح الإسكندرى الذى يصف نفسه فى هذه المقامة بقوله :

" أنا ينبوع العجائب      فى احتيالى ذو مراتب  
أنا فى الحق سنام      أنا فى الباطل غارب  
أنا إسكندر دارى      فى بلاد الله سارب  
أغدى فى الدير قسيسا      وفى المسجد راهب " (٩٦)